



اليمن السعيد . أين هو؟

الأب سليم دكاش اليسوعي

يقول المثل اليمنيّ : "لا بدّ من صنعاء وإن طال السفر". وذلك معناه أنّ صنعاء المدينة، عاصمة اليمن، هي المحجّة والموطأ للإنسان الذي يريد الهناء والصفاء. فأين نحن اليوم من هذه الحالة المنشودة؟ وأين نحن اليوم من ذلك اليمن الذي وُصف بأنّه اليمن السعيد، فكان البلد الوحيد على وجه الأرض الذي نال تلك الصفة المُميّزة، صفة السعيد. ربّما جعلت هذه الصفة أهل اليمن ينامون على حرير كما لو أنّ كلّ شيء هو على ما يرام، وأنّه من الخطأ أن تقوم بتغيير أيّ أمر من الأمور لأنّ كلّ شيء يسير الهويناء.

وسقط اليمن اليوم سقوطاً عظيماً من وسادة السعادة إلى حالة قاسية من الدمار الداخليّ الوطنيّ، بحيث أصبح الموت نصيب الأطفال والنساء والعجز وسط كراهية للأخر قلّ نظيرها. يستفيق اليمنيّ اليوم فيكتشف أنّ لا وجود لدولة، بل لدويلات. ولا وجود لحسّ وطنيّ، بل لعصبية أساسها المصلحة الخاصة، وهدفها الغلبة على الجار والأخ والصديق. مشكلة اليمن تختصر مشاكل العالم العربيّ بأكمله : لا شعور قوياً بأنّ الإنسان هو مواطن في دولة تحميه وتدافع عنه، ولا شعور بالمواطنة التي يعتزّ بها وتحلّ مساحة فكره وقلبه. بل إنّ ما يُحزن ويدمي القلوب أنّ الزعماء والقادة سقطوا هم أولاً في امتحان المواطنة الحقّ، وصارت الدول مرتعاً للفساد ومجالاً واسعاً لازدياد الفقر والبطالة واستغلال الدّين والهروب إلى الأمام بخطاب أيديولوجيّ يضنّ ولا ينفع.

ينبغي ألاّ ننظر إلى مقولة اليمن السعيد وكأنّها ضربٌ من الخيال والهذيان ؛ فاليمن السعيد هو مفهوم حقّ وواقعيّ يرنو المواطن إليه، فلا بدّ أن نعمل من أجل تحقيقه كمفهومٍ أساسيٍّ جعلته الدول المتقدّمة عنواناً لسياساتها وبرامجها الاجتماعيّة والاقتصاديّة. فهل سنظلّ محرومين من السعادة ؟ أجد أنّ الطريق العربيّ إليها شاقّ وطويل.